أطباء باعوا شرف المهنة...وحوّلوها إلى تجارة

مرضى يصرخون .. وأطباء يعملون في أكثر من تخصص

الطب مهنة إنسانية من أرقى المهن وكثيرة هي القصص التي سمعناها عن أطباء يمارسون دور الملاذ الآمن للمريض.. يقدمون أكثر مما يأخذون وشرف المهنة لديهم فوق كل اعتبار ...لكن ..؟! أن يتحول الطب عند بعض الأطباء إلى مغارة علي بابا لدر الأرباح ومزاد لإشباع أطماعهم ، وأن تتحول عباراتهم إلى مراكز تجارية فهذا أمر لا تقبل به أخلاق ولا يقبل به قانون أو مجتمع..
فارتفاع أجور الكشف عند بعض الأطباء وخاصةً الأطباء ذوي الاختصاصات و زوار العيادات الخارجية لبعض المستشفيات ظاهرة بات يعاني منها الكثير من المرضى وخاصة ذوي الدخل المحدود أو الذين ليس لديهم دخل ثابت ولا حول لهم ولا قوة..

تحقيق / إفتكار القاضي

بداية تروي لي إحــدى المقربات عن أحد المرضى الــذي كان يعاني من مرض نفســي ويعيش في إحدى المحافظات القريبة من صنعاء وبعد أن قرر أهله عرضه علــى أحد الأطباء في صنعاء بــادر الطبيب على الفور ودون الرجوع إلى أهل المريض بإجراء عملية اللوز على الرغم من أن المريض لايعاني من أي ألم في اللوز وكل مايعانــي منه هو كما ذكرت ســابقا مرض واضطراب نفســي وعصبي ليكتشف أهله بأن ذلك الطبيب يمارس أكثر من مهنة تحت مهنة واحدة وهي ممارســة التطبيب وليس الطب.

أكثر من تخصص

أم مهنــد هي الأخرى تروي حكايتها مع أحد الأطباء الذي تحــول عنده الطب بنظرها إلى تجارة مقياســها الأول والأخيــر الربح فهي كانت تعاني من ورم بســيط فــي قدمها يؤلمهــا بين الحين والآخــر وعندما قررت أن تعرض حالتهــا على الطبيب لتدخل إحدى المراكز الطبية التي تقدم أكثر من خدمة للمرضى وبعد أن قام الطبيب بالكشــف على حالتها قرر إجراء عملية لرجلها دون أن يكلف نفســه بإعطائها أدوية أو مراهم ربما قد تزيــل هذا الورم وبعد أن أجرى لها تلك العملية وبمبلغ ليس بسيطاً اكتشــفت بان ذلك الطبيب يقوم بأكثر من تخصص حيث يقوم بإجراء عمليات من كل شكل ولون وتخصصه الرسمي هو طبيب أطفال وليس ذلك فحسب بــل إن المركز يحتوي على أكثــر من عيادة منها عيادة الأنف والأذن والحنجرة وعيادة للنساء والولادة وكل تلك العيــادات يقوم بمهامها هو ليصبــح الغرض الأول هو الربح المادي فقط.

وتقــول: (عندما أجرى الطبيــب تلك العملية ماهو إلا عبــارة عن (حبة) لم تكن تســتدعي تلك العملية وكانت ســتزول بمرهم ليس إلا واكتشفت بأن هم ذلك الطبيب هــو الربح لأعــود بعدها من أجل أن يقــوم بفك الخيط لكنــه تحجج بضرورة مجارحتها والتي كانت عبارة عن وضع (شاش ومطهر) لا غير لأفاجأ بأن الممرضة تطلب (٥٠٠) ريال مقابل المجارحة التي لاتســتحق، ولاتذكر وهناك الكثير من المرضى يشــكون من ارتفاع رسوم ذلك المركز وان العمليات أكثر مايفتي به ذلك الطبيب .

مرتعاً سهلاً

في المدن الصغيــرة والأرياف الأطباء يجدون مرتعاً ســهلاً لعملهم في أكثر من تخصــص فطبيب الأطفال يعالج جميع الأمراض دون رقيب والمرضى ليس أمامهم خيار آخر ســوى اللجوء إلى ذلــك الطبيب لعدم وجود أطباء متخصصين.

منى كانت تعاني من ظهور بعض الحبوب في وجهها فقامت بعرض حالتها على أحد الأطباء في تلك المحافظة الــذي قام بفتح مركز خاص به يعالــج فيه هو وزوجته جميع المرضى.

منى التــي اطلع الطبيب على حالتهــا والتي لم تكن تستدعي تلك الأدوية التي هي عبارة عن حبوب وأخرى شــروب لعلاج حالتها هذه الأدوية للأســف سببت لها أمــراض أخــرى، وعندما عرضت حالتهــا على طبيب متخصص أكد لها بأن الأمر لم يكن يســتدعي كل تلك الأدوية التي ليس لها علاقة مما كانت تعاني منه .

أطباء الأســنان هم أيضاً أصبحــوا يحترفون المهن الطبية المختلفــة والمتعددة فالكثير من لوحات عيادات الأســنان مكتوب عليها طبيب تقويم وحشــو وتركيب أسنان وغيرها من اختصاصات طب الأسنان الذي يقوم به طبيب واحد على الرغم أن كل تخصص منفصل عن الآخر والمريض عندما يلجأ لطبيب الأسنان لا يفرق بين ذلك التخصص أو ذاك المهم أنه طبيب أســنان يسلمه فمه ليجري عليه تجاربه.

مرضى يصرخون

حبيب محمد كان يشتكي من ألم متقطع في أضراسه الأمامية في الفك العلوي حتى فاض به الكيل وذهب إلى أحد أطباء الأســنان ليخلصه من ذلك الألم، الطبيب ما كان منه إلا أن قام بســحب عصــب عن تلك الضروس ليخلصــه من الألم نهائياً كما يدعــي وهو بفعله هذا لم يخلصه من الألم فحســب بل أنهى عمل تلك الضروس نهائياً شكلاً ومضموناً..

يقول حبيب: (للأســف أصبحت حقل تجارب لأطباء الأسنان الذين يمارسون أكثر من تخصص فعندما ذهبت لأكثر من طبيب أسنان وكان كل واحد منهم يذكر سببا لألم أسناني مختلفاً عن الآخر، وليس ذلك فحسب بل إن كل واحد منهم يعطيني أدوية من كل صنف ولون لينتهي بي المطاف عند أحدهم الذي أعطى لنفســه صلاحيات العمل تحت جميع تخصصات طب الأســنان من تقويم وحشــو وتركيب إلى آخره من التخصصات والمرضى ليســوا إلا ضحية لغياب القانــون عن مثل هؤلاء المهم أن هذا الطبيب قام بســحب العصب عن أسناني بحجة أن هذا هو الحل الوحيد لتخليصي من الألم وبالطبع لم أعد أشــعر بأي ألم لأنه قضى على عمل تلك الضروس نهائياً وشوه منظرها حيث أصبحت سوداء ولم تعد تقوم بعملها وعندما ذهبت لطبيب آخر من نفس العينة قال لي بأنني لم أكن احتاج إلى سحب العصب وأنه مستعد أن يقلع تلك الضروس ويقوم بتركيب ضروس أخرى لكنني رفضت ذلك لأنه يكفيني التجربة الســابقة والمهم عند هؤلاء الأطباء هو كيف يحصلــون على المال بأي طرق وتحت أي مسمى).

استغلال

أحد الأطباء حدثنا عن ظاهرة استغلال بعض الأطباء للمرضى وممارستهم أكثر من تخصص بغرض كسب المال، يقول: (هذه الظاهرة لا يمكن نكرانها وللأســف هناك بعــض الأطباء حوّلوا مهنتهــم النبيلة إلى تجارة قائمة على الربح والخســارة نظرا إلى الرواتب المتدنية للأطباء التي يتحججون بها ليقوموا بفتح عيادات ومراكز طبية بتخصصات مختلفة والطبيــب واحد وهدفهم هو اللهف وراء الكسب السريع ويؤكد أن كثرة تلك المراكز والعيادات ســببها ضعف الرقابة الصحية وأيضاً عدم وجود لوائح واضحة ومحددة ومطبقة على هذه المراكز وليس ذلك فحســب فهــؤلاء الأطباء يرفعون تســعيرة المعاينة حسب هواهم وكما يحلو لهم.

وقد نســتغرب وجود الكم الكبير من المستشــفيات والمراكــز والعيــادات الخاصــة ذات المعاييــر غير المؤهلة لتكون وهذا في العاصمة صنعاء فما بالك ببقية المحافظات وهــي لا تملك ما يؤهلها أن تقوم بأبســط الخدمــات الطبية وتجرى فيها عمليات (مجازر) وتفتقر إلى أقســام العناية المركزة وهناك مئات المراكز تفتح أبوابها لاستقبال الحالات الطارئة ٢٤ ساعة وليس لديهم إمكانات استقبال حالة واحدة..

ولعل من أكبر المفاسد والتي تتم في هذا القطاع أن هناك مستشفيات خاصة تستقدم عمالة أجنبية ويتضح بعد برهة من الزمــن أن كثيراً منهم يمارس الطب فيما تخصصه بعيداً عن هذا المجال أو أن هناك بعضاً ممن استقدموا يحملون شــهادات في التمريض ويمارسون عمليات كبرى وربما ما خفي كان أعظم.

ومــا يزيد الأمر ســوءاً غياب مبدأ الثــواب والعقاب وغياب الدور الرقابي لوزارة الصحة واتضح أن شــعار الصحــة للجميع بحلول عام ٢٠٠٠م لم يتحقق في ظل الانتهازية التي تتخذ من المواقع القيادية مجرد وسيلة للثراء انعكس ذلك في ظهور بعض الأمراض المعدية من أمراض الطفولة الستة القاتلة كالحصبة وشلل الأطفال وحمى الضنــك رغم الدعم الدولــي الضخم في قطاع التحصين.

وللفساد الذي استشرى في بلادنا نصيب فقد ساهم فــي طمس كثير من حالات الأخطــاء الطبية والعمل في أكثر من اتجاه بشــكل مباشر أو غير مباشر من خلال تمكين أطباء غير أكفاء يمارســون هذه المهنة ويرتكبون أخطاء قد تكون فادحة بحق الكثير من المرضى.

وبكل تأكيد فإن مهنة الطب هي مهنة إنسانية و ذات رســالة عظيمة ولا يمكن قبول أو تبرير حالة اللامبالاة في الممارســة الطبية تحت أي حجة أو ذريعة بل وجب التعامل بشكل جاد وصارم تجاه هذه الظاهرة وتطبيق الإجراءات الرادعة وما تنص عليه قوانين مزاولة المهنة ووضع مصلحــة المريض فــوق كل الاعتبارات، وعدم الاستهانة بالواجب المهني والأخلاقي للطبيب.